الوحي النبوي بين التصور الإسلامي وشبهات المستشرقين، وأثر ذلك على الفكر المعاصر

د. ياسر بن عبد الرحمن بن محمد اليحيى

أكاديمي سعودي، أستاذ مساعد بقسم العقيدة
والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة والدراسات
الإسلامية، جامعة القصيم

ملخص البحث

تناول هذا البحث موضوع (الوحي النبوي) -الذي هو أحد الحقائق الثابتة في ديننا- من جهة التصور الإسلامي له مدخلًا للبحث، ومن جهة الشبهات التي وجهت له من قبل المستشرقين، ومن جهة الأثر المترتب على ذلك في الفكر المعاصر.

وقد توصلت خلال البحث إلى نتائج؛ من أهمها:

١-أن الوحي النبوي -حسب التصور الإسلامي- حقيقة ثابتة بالأدلة العقلية والنقلية، وله خصائص اختص بها ميَّزته عن غيره.

٢- للوحي النبوي -حسب التصور الاستشراقي- رؤية مخالفة لما عليه التصور الإسلامي، وهي إنكار أن يكون هذا الوحي أتى إلى النبي من خارج نفسه.

٣- استخدم المستشرقون للتعامل مع ظاهرة الوحي عدة مناهج، أبرزها منهج التحليل النفسي.

٤-فسَّر المستشرقون ظاهرة الوحي بتفسيرات كثيرة، نتج عنها إثارة كثير من الشبه، أبرزها شبه نفسية طبيعية وشبه نفسية مرضية.

٥-أن هذه الدعاوى والتفسيرات الباطلة وجدت لها صدى عند بعض المفكرين العرب المعاصرين، فأعادوا تسويقها من باب الحداثة والتجديد، مما زاد الأمر خطورة.

د. ياسر بن عبد الرحمن اليحيى

yamy99@gmail.com

The Prophetic Revelation Between the Islamic Understanding and the Doubts of the Orientalists, and its Impact on Modern Thought

Dr. Yasir bin Abdirrahman bin Muhammad al-Yahya

Saudi Academic, Assistant Professor in the Section of Islamic Creed and Modern Ideologies, in the Faculty of Shari'ah and Islamic Studies, Qassim University.

Abstract

This research studied the subject (the prophetical revelation) – that is one of the firm facts in our religion – from an Islamic point of view in the beginning of the research. It also studied the doubts mentioned by the orientalists about it and what impact it has on modern thought.

I reached some conclusions from the study and the most important of them are:

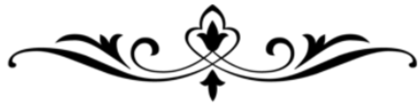
1) That the prophetical revelation – from an Islamic point of view – is a firm fact with both intellectual and textual evidences and it has certain distinctive features that characterize it.

2) The prophetical revelation – from en orientalist point of view – differs from the Islamic point of view and it denies that the revelation came to the prophet from outside of himself.

3) The orientalists used different kinds of methods to deal with the phenomenon of revelation; the most famous of them are the method of psychoanalysis.

4) The orientalists explained the phenomenon of revelation with different kinds of explanations that lead to many doubts; the most famous of them are psychological and illness doubts.

5) Some modern Arab thinkers accepted these false claims and interpretations and spread them by saying it was new and modern explanation, which made it even more dangerous.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فمن الحقائق الثابتة في ديننا (الوحي النبوي)، وقد جاء في القرآن في مواضع كثيرة وبتصريفات متعددة: ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾، ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ ﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾، ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾، ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾، ﴿فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ﴾، ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ﴾، ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾، ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

وكذلك جاء في سنة المصطفى -عليه أفضل الصلاة وأتم التّسليم- بيان حقيقة الوحي ووصف حاله معه، وأشكال تنزّل الوحي عليه، ما يطول المقام بذكره.

ومع ثبوت هذه الحقيقة ووضوح تصوّرها؛ إلّا أن ذلك لم يرُق لطائفة من المستشرقين الذين حاولوا أن يتأوّلوا هذه الحقيقة الثابتة (الوحي) -ضمن مشروعهم الكبير في التشكيك بثوابت هذا الدين- بتأويلات ساذجة ودعاوى متهافتة، دفعهم إليها جهلهم العلمي وهوى النفس وغلبة النزعة المادية عندهم التي لا تؤمن بما وراء المادة، فضلاً عما يحمله كثير منهم من الحقد على هذا الدين الحنيف.

وقد انعكس هذا الفهم الخاطئ والتصور الباطل للوحي على المعجزة الخالدة (القرآن الكريم)، من حيث كونُه كلام الله أوحاه إلى نبيه، وكذلك ما جاء فيه: من كونه صِدق ومقدّس إلى كونه جهداً بشريـًا يعتريه ما يعتري غيره من جهود البشر.

وقد وجدت هذه الدعاوى صدى لها عند بعض مفكري العصر الحاضر، مما جعل الحديث عنها من الضرورات الملحة.

فعزمت على كتابة بحث بعنوان (الوحي النبوي بين التصور الإسلامي وشبهات المستشرقين وأثر ذلك على الفكر المعاصر).

❑ مشكلة البحث:

يمكن اختصار مشكلة البحث في سؤالين:

الأول: ما هو التصور الاستشراقي لظاهرة الوحي النبوي؟

الثاني: هل للتصور الاستشراقي لظاهرة الوحي أثر واضح في الفكر العربي المعاصر؟

❑ أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الأثر المترتب لهذا التصور للوحي لدى المستشرقين على فئام من مفكرينا المعاصرين، وانعكاس ذلك على معجزة الرسول العظمى(القرآن الكريم) ، فهم بين خيارين لا ثالث لهما، يدور

عليهما عقد الإيمان وأساسه:

إما أن يكون القرآن كلام الله المنزل على نبيه ﷺ، وهذا يكسبه القداسة والعصمة والاستمرارية؛ لتعاليه عن البشرية الناقصة.

وإما أن مبدأه ومنتهاه من النبي ﷺ، وما حواه إنما هو نتاج ثقافة زمانه، وعصارة تجربته، وقوة حدسه، وهذا يجعله نصـًا تاريخيـًا داخل حدود الزمان والمكان، فيسعه ما يسع غيره من كلام البشر!!

وبين هذين الرأيين نجد مذاهبَ شتى وطرائقَ قدداً.

❑ أهداف البحث:

يحاول البحث أن يجيب عن سؤالين مهمين:

الأول: معرفة التصور الاستشراقي للوحي النبوي في آخر مراحله.

الثاني: قياس أثر هذا التصور على الفكر العربي المعاصر.

❑ حدود البحث:

يمكن اختصار محددات هذا البحث في محددين:

المحدد الأول: الوحي؛ يُقصد به معنيان:

الأول: الطريقة التي يحصل بها الإعلام بالشرع.

والثاني: اسم المفعول (الموحى بهـ)؛ أي القرآن.

وحديثي سيكون أكثره عن الأول، وإن أتى الثاني فعرَضـًا.

المحدد الثاني: شبهات المستشرقين: سأتكلم على آخر ما انتهى إليه تصورهم للوحي؛ لأن كثيراً من الدعاوى القديمة تجاوزوها وتعقبوها، ولهذا لم يكن لها صدى عند المفكرين المعاصرين.

❑ خطة البحث:

هذا البحث مكوّنٌ من تمهيدٍ، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

التمهيد: مفهوم الوحي النبوي وأنواعه.

المبحث الأول: التصور الإسلامي للوحي النبوي.

المبحث الثاني: موقف المستشرقين من الوحي النبوي وأبرز شبهاتهم.

المبحث الثالث: تأثر الفكر العربي المعاصر بشبه المستشرقين حول الوحي النبوي.

الخاتمة: فيها أهم النتائج.

وسيكون منهجي في تعقب هذه الشبهة وردِّها هو الاستشهاد بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين حال النبي ﷺ مع الوحي، ومقامات تلقيه، وصور نزوله، مع العناية بالأدلة العقلية والشواهد العلمية التي تدحض ذلك كله بإذن الله تعالى.

هذا وأسأل الله العلي القدير أن يوفقني وإياكم لما فيه خير الدنيا والآخرة.

التمهيد

مفهوم الوحي النبوي وأنواعه

يحسن في مُقدَّم هذا البحث أن نقف على معاني الوحي في اللغة والاصطلاح:

فالوحي في اللغة: مصدر وَحَى، ومادة الكلمة تدل على معنيين أصليين، هما: الخفاء والسرعة.

يُقال وحيت إليه وأوحيت: إذا كلَّمته بما تخفيه عن غيره، والوحي: الإشارة السريعة.

والوحي يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد، وبإشارة ببعض الجوارح[١].

والمعنى اللغوي للوحي يتناول:

١-الإلهام الفطري للإنسان، كالوحي إلى أُم موسى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص:٧].

٢-والإلهام الغريزي للحيوان، كالوحي إلى النحل: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [النحل:٦٨].

٣-والإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء، كإيحاء زكريا فيما حكاه القرآن عنه: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس:٦/ ٩٣، مختار الصحاح للرازي:٣٣٤.

وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ [مريم:١١].

٤- ووسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام:١٢١]، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام:١١٢].

٥-وما يُلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال:١٢].

وقد يطلق الوحي على متعلق المصدر (اسم المفعول): ويُراد به الشي الموحى به وهو (القرآن والسنة) قال الله تعالى: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم:٤][1].

وأما **الوحي في الاصطلاح الشرعي**: فقد تفاوتت تعاريف العلماء فيه، وإن كانت متقاربة من جهة المعنى.

فعرفه ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) فأوجز، وقال: «هو الإعلام بالشرع، وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه؛ أي الموحى، وهو كلام الله المنزل على النبي ﷺ»[2].

---

(١) انظر: الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا:٢٥-٢٦، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان:٢٨-٢٩.

(٢) فتح الباري لابن حجر: ١/ ١٤ – ١٥.

ويقول القسطلاني (ت:٩٢٣هـ): «والوحي الإعلام في خفاء. وفي اصطلاح الشرع: إعلام الله تعالى أنبياءه الشيء، إما بكتاب، أو برسالة ملك، أو منام، أو إلهام»[(١)].

وعرفه الزرقاني (ت:١٣٦٧هـ)، فقال: «الوحي معناه في الشرع: أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كلّ ما أراد إطلاعه إليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر»[(٢)].

أنواع الوحي:

لتلقي الوحي من الله تعالى طرق بيَّنها الله تعالى بقوله في سورة الشورى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ٥١﴾ [الشورى:٥١]. فأخبر الله تعالى أن تكليمه ووحيه للبشر يقع على ثلاث مراتب[(٣)]:

المرتبة الأولى: أن يُلقي الله المعنى في قلب النبي ﷺ مباشرة، وقد أشار إليه بقوله: ﴿إِلَّا وَحۡيًا﴾. وهو على قسمين:

الأول: إلقاء الله معنىً في قلب النبي ﷺ يقظة ويتم ذلك من غير وساطة

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري:١/ ٤٨.

(٢) مناهل العرفان:١/ ٦٤.

(٣) انظر في ذلك: وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة:١٠٣-١٠٦، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة:١٢٤-١٢٦.

ملك، مع خلق علم ضروري عند النبي بأن هذا المعنى قد قذفه الله قطعـًا.

ومثال ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ت:٣٢هـ) عن النبي ﷺ أنه قال: «إن روح القدس نفث في رُوعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»[1].

الثاني: إلقاء الله معنى في قلب الرسول منامـًا، كما حكى القرآن على لسان إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ﴾ [الصافات:١٠٢]، وكرؤى النبي في بدء البعثة.

المرتبة الثانية: التكليم من وراء حجاب بلا واسطة، كما ثبت ذلك لبعض الرسل والأنبياء، كتكليم الله تعالى موسى على ما أخبر الله به في أكثر من موضعٍ من كتابه. قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

المرتبة الثالثة: الوحي بوساطة الملَك، ودليله قوله تعالى: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾ [الشورى: ٥١]، وهذا كنزول جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ بالوحي من الله على الأنبياء والرسل.

والقرآن كله نزل بهذه الطريقة؛ تكلم الله به، وسمعه جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ من الله عَزَّوَجَلَّ، وبلّغه جبريل لمحمد ﷺ. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٤]،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية:١٠/٢٧، والقضاعي في مسند الشهاب:٢/١٨٥، رقم(١١٥١) وصححه الألباني في الصحيحة رقم(٢٨٦٦).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [النحل:١٠٢].

ولجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في تبليغه الوحي لنبينا ﷺ ثلاثة أحوال:

١ - أن يراه ﷺ على صورته التي خلق عليها، ولم يحصل هذا إلا مرتين كما في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا(١).

٢ -أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس، فيذهب عنه وقد وعى الرسول ﷺ ما قال.

٣ -أن يتمثل له جبريل في صورة رجل ويخاطبه بالوحي، كما في حديث جبريل المشهور في سؤاله النبي ﷺ عن مراتب الدين(٢).

وقد أخبر النبي ﷺ عن الحالتين الأخيرتين في إجابته للحارث بن هشام(ت:١٥هـ) لما سأل رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول»(٣).

وبعد هذا يتبين لنا أن القرآن الكريم منزل من الله، عن طريق الروح الأمين جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أوحاه إلى نبيه محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾، ح(١٧٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾، ح(٨).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ح(٢)، و الإمام مسلم ح(٢٣٣٣).

المبحث الأول

التصور الإسلامي للوحي النبوي

مما سبق يتبين لنا: أن الوحي مصدره هو الله تعالى، وهو جزء من علمه تعالى، له ما لهذه الصفة من كونها مطلقة غير محدودة، فعلم الله تبارك وتعالى يتخطى حدود الزمان والمكان، ولا يعجزه ميدان من ميادين المعرفة، خلافاً للعلم البشري المقيد بحدود الزمان والمكان والناشئ من ملكات الإنسان المحدودة.

ومن هنا امتاز الوحي الإلهي عن غيره: بأن ما قدمه من علم يقينٌ مطلق، سواء كان ذلك فيما أخبر به مما وقع ماضياً أو حاضراً -وقت نزوله-، أو فيما يُستقبل من الزمان، أو فيما أثبته من حقائق العالم الغيبي، أو سنن الكون أو غير ذلك.

وقد قدم الوحي علماً جماً في كثير من المجالات، ومن أعظمها: مجال ما وراء الطبيعة الذي تخبطت فيه الفلسفة كثيراً مع ما بذلت من جهود لأخذ تصور حقيقي فيه، لكنها لم تستطع ذلك، بل أعلن كثير من الفلاسفة المتأخرين عجز مصادرهم عن الوصول إلى يقين فيها(١).

بخلاف الوحي الإلهي المنزل على محمد ﷺ، فقد جاء بالحق الواضح الجلي في هذا المجال المتوافق مع فطرة الإنسان وحاجته، فأخبر عن أصل

---

(١) كما سنرى لاحقاً بإذن الله.

هذا الكون وأصل الإنسان والحكمة من وجوده، وما وراء هذا الوجود المادي من عالم غيبي خاضع لإله واحد عظيم له الصفات الكاملة، وما في هذا العالم الغيبي من موجودات لها صلة بالإنسان كالملائكة، وما وراء هذه الحياة من حياة أخرى تكون تكملة لهذه الحياة، فيتحقق العدل ويكون الجزاء كما قال تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [النحل:٣٩][1].

وإذا كان الوحي بهذه المثابة فلعلي أقف مع شيء من خصائصه- باختصار- ضمن التصور الإسلامي تجلي شيئاً من حقيقته:

- **الخصيصة الأولى**: الوحي يحصل بالاصطفاء لا الاكتساب:

فالوحي منحة إلهية، يختار المولى بحكمته من يشاء من عباده؛ ليكون موضع تلقيها، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

وعلى هذا: فالنبوة اصطفاء واختيار من الله كما قال تعالى: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى﴾ [الأعراف:١٤٤]، وليست كما يزعم بعض الفلاسفة وأصحاب التصوف الإشراقي أن الوحي معرفة مكتسبة تحصل لمن طلبها بشروطها[2]، فتكون النبوة جهداً بشرياً ممكناً لجميع

---

(١) انظر: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي:١٥١-١٥٣.

(٢) انظر: الإشارات والتنبيهات لابن سينا:٣/ ٢٤٣، ٣/ ٢٢٠، وانظر في الرد عليها: الصفدية لابن تيمية:١/ ٢٢٨-٢٣١، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني:٢/ ٢٦٧-٢٦٩

الناس بالنظر إلى اشتراكهم في طبائعهم النفسية(١).

- **الخصيصة الثانية**: نزول الوحي خاضع لمشيئة الله وحكمته لا لرغبة الرسول وإرادته:

ولهذا فالنبي ﷺ لا اختيار له في توقيت نزوله أو تحديد مكانه، بل ولا يأتي ملبياً لمطالبه فور الحاجة إليه، كما جاء ذلك في السنة النبوية.

بل كان الوحي يتتابع عليه أحياناً، وينقطع أحياناً أخرى، وهو أحوج ما يكون إلى نزوله، والشواهد على ذلك كثيرة(٢).

وهذه الخاصية في طبيعة الوحي تميِّزه عن غيره من طرق المعرفة الأخرى، التي تحصل بالتهيؤ وبذل الجهد والاستعداد، ومحكومة بالاختيار والإرادة.

- **الخصيصة الثالثة**: اختصاصه بعلم الغيب المحض:

وأقصد بالغيب المحض ما يقابل الغيب النسبي الذي قد يغيب عن أحد دون أحد، وهذا الغيب المحض يتوقف العلم اليقيني به على وحي الله، لأنه لا يعلمه إلا هو، كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

وهذه يعني أن العقل البشري مهما بلغ فلن يستطيع أن يصل إلى تصور

---

(١) انظر: المعرفة في الإسلام:١٠٢، مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي:١٤٥، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية:١/ ٢٩٦-٢٩٧.

(٢) مثل تأخر نزول سورة الكهف حينما سأله المشركون عن خبر الفتية وذي القرنين، وتأخر نزول براءة عائشة من الإفك، وغير ذلك.

حقيقي صادق فيما وراء الطبيعة، وأن جميع التصورات في ذلك إن هي إلا خبط عشواء وتسوّرٌ في عماء، وقد اعترف بذلك كبار الفلاسفة الغربيين المتأخرين من أمثال ديكارت، ورابوبرت، إذ يقول الأخير: «إن عالِم ما بعد الطبيعة عالِمٌ درج في غير عشه في بحثه عن شيء فوق المدارك العقلية»(١).

- **الخصيصة الرابعة**: عدم تأثره بالزمان والمكان:

لما كان الوحي مصدره هو الله تعالى وحده، فهذا يعني أن حقيقة الوحي خارجة عن الزمان والمكان، بمعنى أنها لا تتأثر بمحيطها الزماني والمكاني.

فهي علم صادر من الله المهيمن على الزمان والمكان، وهذا -ولا شك- يعطي للوحي قيمة معرفية عظيمة وهي: الاستمرارية والأزلية التي لا توجد إطلاقاً في التراث البشري الذي لا يمكن أن ينفك عن زمانه ومكانه الذي أحاط به مهما بلغ ذلك الإنسان.

ومع ذلك فالوحي لم يكن مثالياً بمعنى أنه جاء بمنظومة خيالية لا يمكن للبشر العمل بها، أو تنزيلها على الواقع، أو تصورها، وإنما جاء بعلم عملي يؤثر في الواقع دون أن يتأثر به، ويقيم لهم ميزان القسط والعدل(٢).

وهكذا يتبين لنا بشكل سريع شيء من خصائص التصور الإسلامي للوحي الإلهي يمكن أن يساعدنا في فهم ما بعد ذلك مما سيأتي في ثنايا هذا البحث.

---

(١) مبادئ الفلسفة:٢٦ بواسطة كتاب مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي:١٥٢.

(٢) انظر فيما سبق: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي:١٤٥-١٦٢.

المبحث الثاني

موقف المستشرقين من الوحي النبوي وأبرز شبهاتهم

في حديثي عن المستشرقين وموقفهم من الوحي النبوي سأتجاوز كثيراً من مفرداتهم وكلامهم على مصدرية هذا الوحي، وزعمهم أن مصدره يرجع إلى أصول وثنية أو عقائد كتابية أو أديان شرقية، وأتجاوز كذلك حديثهم عن موثوقية هذا الوحي ومدى ثبوته؛ لأن الحديث عنها يطول ويُخرج البحث عن مساره وهدفه، وإن كانت تصب في نفس السياق، وانتقل إلى الحديث عنهم في جزئية مهمة؛ وهي تحليلهم لهذه الظاهرة الإلهية (ظاهرة الوحي).

وظاهرة الوحي في التصور الإسلامي مع كونها -كما مر- من الحقائق الثابتة الُمسلَّمة، الواضحة المعالم، اليسيرة الفهم، إلا أن بعض المستشرقين لما تناولوها شطحوا فيها وتكلفوا لها التأويلات والتفسيرات البعيدة، وصرفوا نصوصها وأخبارها عن ظاهرها، وصاروا فيها مذاهب شتى.

وهذا الموقف لم يحصل عندهم بسبب قصورهم في التصور أو ضعفهم في الفهم وحسب، بل يعود ذلك إلى أسباب كثيرة، أذكر منها اثنين لأهميتهما:

أولاً: التصور الخاطئ للوحي في العقيدة النصرانية التي يدين بها أكثر المستشرقين[1]، يعبِّر عن ذلك ما جاء في قاموس الكتاب المقدس لـجورج

(١) المستشرقون والتنصير، للدكتور علي النملة: ١١.

بوست (George E.Post) (ت:١٩٠٩م) حيث يقول في الوحي: إنه «هو حلول روح الله في روح الكتَّاب الملهمين؛ لإطلاعهم على الحقائق الروحية والأخبار الغيبية، من غير أن يفقد هؤلاء الكتاب الوحي شيئًا من شخصياتهم، فلكل منهم نمطه في التأليف وأسلوبه في التعبير»[١].

والوحي -بتعريفه القاموسي هذا- «أبعد ما يكون عن الصعيد الديني المتصل بالله، الآخذ عن الله، وأقرب ما يكون إلى مدلول الكشف الذي عرفته البشرية لدى الشعراء والمتصوفين وكذلك الكهان والعرَّافين، وهو غالبًا ما يكون ثمرة من ثمار الكد والجهد، أو أثراً من آثار الرياضة الروحية أو نتيجة للتفكير الطويل، فلا يُنشئ في النفس يقينًا كاملاً ولا شبه كامل، بل يظل أمراً شخصيًا ذاتيًا لا يتلقى الحقيقة من مصدر أعلى وأسمى»[٢].

ثانيًا: النزعة المادية التي لا تؤمن بما وراء المادة، وهذه النزعة لها حضورها الكبير في الغرب، ويؤمن بها عدد غير قليل من المستشرقين[٣]، وتقوم هذه النزعة على أساس أنه لا وجود إلا للواقع المحسوس، وتبعًا لذلك فإن المعرفة البشرية إنما تتعلق بموجود مادي محسوس، ولا يمكن أن تجاوز المحسوسات، وعندهم أن الحواس هي المصدر الوحيد

---

(١) قاموس الكتاب المقدس لجورج بوست:٢/ ٤٧٣.

(٢) مباحث في علوم القرآن لصبحي صالح بتصرف:٢٥-٢٦.

(٣) انظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، بحث د. جعفر إدريس (منهج مونتجمري وات في دراسة نبوة محمد):١/ ٢٣٦-٢٣٧.

للمعرفة، وأن جميع الأفكار مجرد انعكاسات للواقع الموضوعي المحسوس، فلا يمكن وجود فكرة ليس لها أصل حسي[١].

وبناء على ذلك فالنزعة المادية تنكر الوحي؛ لأنه حقيقة غيبية لا يمكن التحقق منها بطريق الحواس، ولهذا فهو عندهم مجرد ادعاء زائف لا حقيقة له[٢].

ومع ظهور هذه الأسباب إلا أن هناك دافعًا خفيًا كان سببًا في توجيه بحوثهم إلى هذه الوجه التي تقوم على إنكار الوحي المحمدي وتفسيره تفسيراً ماديًا بشريًا -كما سيأتي-، وهذا الدافع هو التعصب الديني والنزعة العنصرية والحقد على هذا الدين ونبيه الكريم، مما جعل بحوثهم تجافي الحقيقة، وتنزع الثقة من الأحكام التي توصلت إليها، وهذا لا أقوله بدافع التخوين والظن السيّء بمثل هؤلاء فقط، بل أقوله بناء على شهادة بعضهم على بعض.

فهذا المستشرق الأسكتلندي مونتجمري وات (Montgamery Watt) (ت:٢٠٠٦م) -في ثنايا حديثه عن ظاهرة الوحي- يقول: «فالكتَّاب الغربيون يكادون يكونون منكفئين على الاعتقاد في كل أمر يشين محمداً ﷺ، فإذا ظهر لهم تفسير كريه لفعل يبدو معقولاً ومنطقيًا مالوا إلى تصديقه»، ثم يقول: «فنظريات الكتَّاب الغربيين (أي في الوحي) التي تفترض

---

(١) انظر: النظرية المادية في المعرفة لروجيه جارودي:٣١-٣٢.

(٢) انظر: المعرفة في الإسلام . د.عبدالله القرني:٨٧-٨٨، الرسول في كتابات المستشرقين لنذير حمدان:١٦.

افتراضـاً مسبقـاً أن محمداً ﷺ غير صادق لن نناقشها كنظريات»[١].

ومثله المستشرق الفرنسي كارادي فو (Carra de Vaux) (ت١٩٥٣م) حيث يقول: «ظل محمد زمنـاً طويلاً معروفـاً في الغرب معرفة سيئة، فلا تكاد توجد خرافة ولا فظاظة إلا نسبوها إليه»[٢].

وهذه النظرة التحيزية ضد النبي ﷺ وشريعته ما هي إلا امتداد للنظرة الغالية المتحيزة التي نشأت في أوربا في العصور الوسطى وتكرار لها[٣].

وقد استخدم المستشرقون للتوصل إلى ما وصلوا إليه من تفسيرات لظاهرة الوحي عدة مناهج مُستحدثة في الغرب، أبرزها ما يُسمى بمنهج (التحليل النفسي)[٤]، وقد ظهر هذا المنهج في أوربا بشكل واضح في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأصبح هو الموضة السائدة هناك.

ويقوم هذا المنهج على تجريد سلوك النفس البشرية من كلّ صفة (فوق طبيعية) وحصرها وتفسيرها بدوافع نفسية؛ ولذا نجد أن المفكرين الغربيين يفسرون العبقريات العظيمة في العلوم الإنسانية في ضوء البحوث النفسية[٥].

---

(١) محمد في مكة: ١٢١-١٢٢.

(٢) كتاب المحمدية: ٢٠، بواسطة كتاب(مناهج المستشرقين في الدارسات العربية والإسلامية):١/ ٢٢.

(٣) انظر: دفاع عن محمد ﷺ لعبدالرحمن بدوي:٥-٤٧.

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة:٢/ ٨٢٢-٨٣١.

(٥) انظر: دفاع عن محمد ﷺ:٦٦، فقه السيرة للبوطي:٣٠-٣٤، ردود على شبهات المستشرقين:٢٤٩-٢٥٠.

خذ على سبيل المثال -لا الحصر- المستشرق مكسيم رودينسون (Maxime Rodinson) (ت:٢٠٠٤م) لما تناول تحليل شخصية النبي ﷺ مع الوحي تناولها في ضوء هذا المنهج.

يقول في كتابه (محمد) -في سياق تفسير حال النبي ﷺ مع الوحي- : «إن علم النفس قد قرر أن بعض الناس تصدر عنهم أفعال غريبة وتتهيأ لهم رؤى خاصة، ويتخيلون أصواتاً يسمعونها وكلمات يلتقطونها صادرة من منطقة اللاوعي أو العقل الباطن...»(١).

ومما يحسن التنبيه عليه هنا: هو أن بعض المستشرقين الذين تكلموا على نبوة النبي ﷺ، قد يظهر من كتابات أحدهم الإنصاف والتجرد والتعامل الموضوعي وسلوك المنهج العلمي، ولذا تجده يتحاشى أن يصف النبي ﷺ بأي وصف مقذع ويتجاوز ذلك إلى وصفه بألقاب العظمة والبطولة والعبقرية.. الخ، وهذا - وإن كان مما يحسب له- إلا أنه يحمل في طياته فكرة ماكرة - قل أن يُفطن لها- يريد تمريرها، وهي اعتبار النبي ﷺ عظيماً كأحد العظماء الذي مروا على التاريخ، أدى دوره في حقبة زمنية معينة وانتهى الدور بانتهاء الفترة، فهو لا يعدوا أن يكون شخصية طبيعية عظيمة كغيره من عظماء التاريخ.

---

(١) كتاب محمد:٨٠ بواسطة كتاب محمد ﷺ بين الحقيقة والافتراء لمحمد أبو ليلة:١١٥.

والذي يجعلني أجزم بهذا: أنهم لما تناولوا ظاهرة الوحي، أنكروها بالمعنى الإسلامي، وفسروها بتفسير نفسي ذاتي يصدر من داخل النبي ﷺ؛ فنفوا بذلك-من حيث يشعرون أو لا يشعرون- صفة النبوة والرسالة، والتي أبرز سماتها وخصائصها تلقي الوحي من السماء.

يقول الأستاذ عبدالكريم الخطيب(ت:١٤٢٨هـ) -في حديثه عن المستشرقين- : «أبى كثير من هؤلاء أن يعترف لمحمد بأنه نبي تلقى شريعته من السماء، ضناً منهم على شريعة الإسلام أن تفيض من هذا الينبوع العلوي، وأن تتصل أسبابها بالسماء، وهم بهذا إنما يريدون أن تذهب هذه الشريعة مع ما ذهب من شرائع سنَّها المصلحون من الناس ممن كانت شرائعهم مستمدة من إلهاماتهم الروحية دون أن تصلها بالسماء أسباب، وبذلك يذهب محمد كما ذهب العظماء في متاحف التاريخ»(١).

ويقول محمد البوطي(ت:١٤٣٤هـ): «إنك لتراهم -أي المستشرقين- يمجدون شخص محمد ﷺ، وينوِّهون بعظمته وصفاته الحميدة، ولكن بعيداً عن كل ما قد ينبِّه القارئ إلى شيء من معنى النبوة أو الوحي في حياته، وبعيداً عن الاهتمام بالأسانيد والروايات التي قد يضطرهم الأخذ بها إلى اليقين بأحداث ووقائع ليس من صالحهم اعتمادها أو الاهتمام بها»(٢).

---

(١) النبي محمد ﷺ لعبدالكريم الخطيب:٧٧.

(٢) فقه السيرة:٣٤، وانظر: دفاع عن محمد ﷺ لعبدالرحمن بدوي:٤٦-٤٧، الرسول في كتابات المستشرقين لنذير حمدان:١٣-١٤.

وبعد هذه المقدمة السريعة أجد نفسي مضطراً إلى أنْ ألج في عرض أبرز الشبهات التي أثارها المستشرقون حول ظاهرة الوحي النبوي، وأسأل الله الإعانة والتوفيق:

۞ أبرز شبهات المستشرقين حول الوحي النبوي:

من المتقرّر سلفاً أن الشبهات المثارة حول أي موضوع عادةً ما تكون قضية غير متناهية؛ بمعنى أن كل شخص يمكن أن يثير شبهة حول موضوع معين -بغض النظر عن وجاهتها وحقيقتها- دون حدٍّ أو ردٍّ، وهنا يكون دور المتلقي والباحث: وهو التمييز بين ما يستحق الوقوف معه والرد عليه، وبين ما هو باطل بمجرد النظر إليه، وفق معايير وضوابط يمكن الفرز من خلالها.

ولعلي هنا -في هذا البحث المختصر- أقتصر على الشبه التي تناولت تفسير ظاهرة الوحي وأحوال النبي ﷺ في تلقيه بالظواهر النفسية؛ إذ هي محل مقصود البحث، وتعدَّ من أبرز الشبه وأكثرها حضوراً وانتشاراً بين المستشرقين.

ويمكن أن أقسِّم الشُّبَه التي سأتناولها إلى قسمين:

القسم الأول: شبه تعود إلى حالة نفسية طبيعية.

القسم الثاني: شبه تعود إلى حالة نفسية مرضية.

❑ القسم الأول: شُبَه تعود إلى حالة نفسية طبيعية:

وأبرز ما ذكروا تحت هذا: شبهة (الوحي النفسي)، وشبهة (الوحي الناتج عن الانفعالات العاطفية)، وشبهة (الوحي الناتج عن التجربة الذهنية والفكرية) .

- **الشبهة الأولى: شبهة الوحي النفسي:**

تقوم هذه الشبهة على تصوير الوحي الصادر من النبي ﷺ -قرآنٍ أو سنةٍ- بأنها نتاج: رغبات وطاقات وصلت شعور محمد من لا شعوره، وإلى وعيه من لا وعيه (واللاشعور واللاوعي هو العقل الباطن "unconscious")[١]، فتولد منها هذا الوحي، وأن هذا اللاشعور قد يكون الجمعي الذي تتراكم فيه الرغبات أو الطاقات في مجتمع ما، ثم تتجمع في لا شعور فرد من أفراد المجتمع، ليقوم بالتعبير عن مجتمعه ككل[٢].

يقول مونتجمري وات(Montgamery Watt) (ت:٢٠٠٦م): «إن ما ينبثق من اللاشعور إلى الشعور في أحلام الأفراد وخيالاتهم، وكذلك في

---

(١) ويعني: «مستودع الدوافع البدائية، وهو مقر الرغبات والحاجات الانفعالية المكبوتة التي تظهر في عثرات اللسان والأخطاء الصغيرة والهفوات وأثناء بعض المظاهر الغامضة لسلوك الإنسان. إنه مستودع ذو قوة ميكانيكية دافعة وليس مجرد مكان تلقى إليه الأفكار والذكريات غير الهامة». انظر: الموسوعة الميسرة: ٢/ ٨٢٦

(٢) انظر: بحث (أنسنة الوحي) لحسان القاري:٤٠٥ ضمن مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية- المجلد ٢٦ - العدد الثاني- ٢٠١٠

الأساطير الدينية للمجتمع ككل تنطلق من اللبيدو(الطاقة النفسية أو الطاقة الحيوية) التي هي ينبوع النشاط في كل البشر، وفي الرجل الفرد نجد اللبيدو هو-جزئيًا- شيء خاص بذاته، كما أنه - أيضًا- شيء يشترك فيه مع سائر أعضاء مجتمعه، بل وسائر أفراد الجنس البشري، وهذا الجزء الذي يشترك فيه مع غيره يسميه (يونج)[(١)] (اللاشعور الجمعي)[(٢)]، وإلى عمل هذا (اللاشعور الجمعي) وتأثيره تُعزى كثير من الأساطير الدينية، بل وكثير من المعتقدات الجامدة خاصة التي تتعلق بشخص(البطل) أو (الزعيم)...وبالاختصار فإنه وفقًا لأفكار (يونج)، فإن معظم الأفكار الدينية تظهر مما يسمى (باللاشعور الجمعي) عندما يتخذ طريقه إلى(الوعي) أو (الشعور)، ومعظم الممارسات الدينية(العبادات، التطبيقات الدينية) هي استجابة واعية لهذه الأفكار»[(٣)].

ثم يأتي بعد ذلك ويطبق هذا المعنى على الوحي النبوي فيقول: «ووفقًا

---

(١) كارل جوستاف يونج (Carl Jung)، هو عالم نفس سويسري ومؤسس علم النفس التحليلي. (ت: ١٩٦١). انظر (الموسوعة الحرة على الشبكة: http://cutt.us/k6HCQ)

(٢) يرى يونج: أن هناك (لاشعوراً) جمعيًا مشتركًا ومشاعًا بين البشر جميعًا وإن تفاوتت درجاته، ويرجع شيوع اللاشعور الجمعي إلى تشابه العقل في جميع أجناس البشر، ويرجع هذا التشابه إلى التطور المشترك؛ إذ يوجد بداخل كل منا قدر ما من هذا اللاشعور الجمعي وإن كان هذا القدر يختلف من فرد إلى آخر، فكأن اللاشعور الجمعي هو المخلفات النفسية التي ورثناها عن أسلافنا من البشر.انظر(الموسوعة العربية على الشبكة:http://cutt.us/SFHXM).

(٣) الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتجمري وات:٢٠٧-٢٠٨.

لهذه الطريقة في النظر للأمور، فإن (الوحي) الذي قامت على أساسه اليهودية والمسيحية والإسلام هو المحتوى الذي انطلق من (اللاشعور الجمعي) إلى (الشعور) أو(الوعي) وكان محتوى هذا (اللاشعور الجمعي) متسماً بالتباين الشديد والتعقيد»[١].

وفي موضع آخر يطرح مونتجمري وات على نفسه سؤالاً، وهو: «كيف وصلت الكلمات التي كونت التجربة الأولى إلى وعي محمد ﷺ أو شعوره؟» فيجيب: «إننا نؤمن بصدقه وإخلاصه عندما يقول إنها ليست نتيجة أي تفكير واعٍ منه. أما بالنسبة للمحدَثين المتأثرين بالعلوم الطبيعية والتطبيقية، فإن الإجابة السهلة هي: أن هذه الكلمات وصلت لمحمد ﷺ من (لا شعوره)»[٢].

ويقول جولد تسيهر(GOLDZIHER)(ت:١٩٢١م): «فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء ديني عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها.... لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإيحاء قوته التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهياً، فأصبح – بإخلاص– على يقين بأنه أداة لهذا الوحي»[٣].

(١) المصدر السابق:٢٠٨.
(٢) المصدر السابق:٢٠٦.
(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد تسيهر:١٢.

ويقول مكسيم رودينسون -في سياق تفسير حال النبي ﷺ مع الوحي-: «إن علم النفس قد قرر أن بعض الناس تصدر عنهم أفعال غريبة وتتهيأ لهم رؤى خاصة، ويتخيلون أصواتًا يسمعونها وكلمات يلتقطونها صادرة من منطقة اللاوعي أو العقل الباطن...»[١].

وقد ذهب إلى تفسير الوحي بذلك عدد من المستشرقين مثل: أميل درمنغم (Darmangam) (ت:١٩٢٩م)، وجوستاف لوبون (Josef lubun) (ت:١٩٣١م)، وكارل يونج (Carl Jung) (ت:١٩٦١م) وغيرهم[٢].

- **الشبهة الثانية: (الوحي الناتج عن الانفعالات العاطفية)**

تقوم هذه الشبهة على تصوير الوحي الصادر من النبي ﷺ: بأنه نتاج تأثير النوبات الانفعالية الطاغية التي كانت تسيطر عليه، مما كان يدعو النبي ﷺ إلى الشعور بأنه تحت تأثيرات إلهية.

يقول تيودور نولدكه (Theodor Noldeke)(ت:١٩٣٠م): «كانت نبوة محمد نابعة من الخيالات المنهجية والإلهامات المباشرة للحس، أكثر من أن تأتي من التفكير النابع من العقل الناضج، فلولا ذكاؤه الكبير لما استطاع

---

(١) كتاب محمد:٨٠ بواسطة كتاب محمد بين الحقيقة والافتراء لمحمد أبو ليلة:١١٥.

(٢) انظر: الوحي المحمدي:٧٣، الأدلة على صدق النبوة المحمدية:٤٣٤، دفاع عن محمد ﷺ:٥١-٥٣، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية لساسي الحاج:٣٠١، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي:١٣٢-١٣٣.

الارتقاء على خصومه ... ومع هذا كان يعتقد أن مشاعره الداخلية قادمة من الله بدون مناقشة!»[١].

ويقول مونجمري وات: «إن محمداً كان شديد الإخلاص لدعوته، شديد الثقة في نفسه، فكان إذا حدثت حادثة في حياته أو اعتقد أن شيئًا ما صالح، انفعلت نفسه بما حدث أو اعتقد، فيصوغه في كلام قرآني، ثم يعتقد هو أن هذا كلام الله أوحي إليه، فيقدمه على أنه كلام الله»[٢].

ويقول جولد تسيهر: «ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قدَّم بها محمد، الصورة التي أوجبتها إليه حميته الملتهبة في شكل وهمي خيالي حاد تلقائي ذاتي»[٣].

- **الشبهة الثالثة: (الوحي الناتج عن التجربة الذهنية والفكرية)**

تقوم هذه الشبهة كما يزعم ريتشارد بل(Richard Bell)(ت:١٩٥٢م) ومونتجمري وات: على أن الوحي عبارة عن تجربة ذهنية فكرية أدرك منها النبي ﷺ ما أدرك نتيجة قدرته على التركيز على مستوى تجريدي لا يطيقه غيره، فكان يختار ساعات الليل؛ لأنها أدعى للفكر وأصفى للروح، وأكثر

---

(١) تاريخ القرآن لنولديكه:١/ ٥ بواسطة كتاب: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره:٣٨٧.

(٢) النقل بواسطة: الأدلة على صدق النبوة المحمدية:٤٣٤.

(٣) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر: ٢١.

استجابة لعواطفه[١].

ويقول هاملتون جب (Hamilton Gibb) (ت:١٩٧١م)- واصفًا حال النبي مع الوحي ومراحل التنزّل-: «فبدأ (محمد) من تصوره لله-أحكم الحاكمين- وأخذ يستنتج بقوة الحدس خطوة إثر خطوة المراحل التي يلزم العرب أن يبلغوها في تدرجهم صعداً كي يشاركوه اعتقاده»[٢].

- **الجواب عن هذه الشبه:**

هذه الشبه وإن اختلفت عباراتها إلا أن مؤداها واحد، ويقصدون بها أن الوحي الذي أخبر به محمد ﷺ، إنما هو إلهام كان يفيض من نفس النبي الموحى إليه لا من الخارج؛ ذلك أن حدة الذكاء عنده، ونفاذ البصيرة، وقوة الفراسة، وشدة الفطنة، وصفاء النفس، وصدق التأمل، كل ذلك كان له التأثير بأن يتجلى في ذهنه، ويُحدث في عقله الباطن الرؤى، والأحوال الروحية، فيتصور ما يعتقد وجوده إرشاداً إلهيّا نازلاً عليه من السماء بدون وساطة، أو يتمثل له رجل يلقنه ذلك، يعتقد أنه من عالم الغيب، وقد يسمعه يقول ذلك في المنام الذي هو مظهر من مظاهر الوحي عند الأنبياء، فكل ما يخبر به النبي من كلام ألقي في رُوعه، أو عن ملك ألقاه على سمعه فهو خبر صادق عنده، ولكن تفسيره من وجهة نظر هؤلاء هو أنه نابع من نفسه ومن عقله الباطن، ولهذا فالقرآن -عندهم- لا يخرج عن أن يكون أثرًا للاستنباط

(١) انظر: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره:٣٩١.

(٢) دراسات في حضارة الإسلام:٢٤٩ بواسط كتاب الأدلة على صدق النبوة المحمدية: ٤٠٥.

العقلي، والإدراك الوجداني عبَّر عنه محمد بأسلوبه وبيانه[١].

- **والرد على هذه الشبه** يمكن إجماله بما يلي:

١ – إعجاز القرآن: فإن نفس محمد ﷺ مهما صفت فإنها ستظل كسائر المتعبدين والعباقرة يأتون بالشيء العظيم، لكن لا يعجز أمثالهم أن يلحقوا بهم أو يسبقوهم ويتفوقوا عليهم، وهذا القرآن الذي أوحي به إلى محمد بن عبد الله ﷺ معجز تحدى الجن والإنس، والأولين والآخرين، فأنّى يمكن أن يكون هذا الكتاب إلا من عند الله.

٢ – إن حادث الوحي يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنه آت من ذات مستقلة خارجة عن ذات النبي ﷺ، وذلك واضح في حديث بدء الوحي في غار حراء، حيث إن الملك جاء إلى النبي ﷺ فجأة كما في الحديث الصحيح: «فجاءه الملك فقال اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ»[٢].

فهذه الحادثة توضح أن هناك ذاتـًا خارجة عن ذات محمد وشخصه، تملي عليه وتأخذه وتغطّه -أي تضمّه وتعصره عصراً شديداً- وتقول له: اقرأ، فهي ذات متكلمة، وهي ذات آمرة ومؤثرة في بدنه بالضغط الشديد عليه، حتى يقول النبي ﷺ: «لقد خشيت على نفسي». وذلك يثبت بطلان

---

(١) انظر: الوحي المحمدي لرشيد رضا:٢٦، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان:٤٠، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي:١٣٤.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم ١٦٠.

زعم الوحي النفسي ويفنّده تفنيداً.

٣ - إن الوحي كان ينزل على النبي ﷺ غير مرتبط بإرادته أو رغبته، ولا بتفكيره أو بحثه لدى وقوع المهمات، فربما كان في بيته يأخذ شيئًا من الراحة فينهض والبِشر على محياه وقد نزلت سورة، كما ثبت الخبر في نزول سورة الكوثر كما أخرج ذلك مسلم في صحيحه(١)، ومن القرآن ما تنزل في هزيع أخير من الليل، ولهذا كثرت أقسام القرآن بحسب أوقات نزوله، فمنه السفري والحضري، ومنه الليلي والنهاري، ومنه ما نزل مشيّعًا، ومنه... ومنه...، مما فصله العلماء في مصادر علوم القرآن.

٤ - إن عبقرية الإنسان تحمل بالضرورة طابع الأرض؛ إذ يخضع كل شيء لقانون الزمان والمكان، ويتقيد بحدودهما وآفاقهما، في حين يتخطى القرآن دائمًا نطاق هذه الحدود، ليدل من خلال رحابة موضوعاته على أن دور محمد ﷺ فيه إنما هو الحفظ والوعي، أو الأخذ والتلقي، ثم الإبلاغ للعالم.

بل إن جميع معارف الإنسان في عصر نزول القرآن -لا معارف النبي ومعارف بيئته- ومعارف عصور لاحقة لا تمثل شيئًا من شمول المعارف القرآنية وتنوعها وعمقها، فضلاً عما في معارف القرآن من تصحيح تلك المعارف وتقويم عوجها من جذورها، حتى ما كان منها متعلقًا بما هو سابق لعصر نزول القرآن، فليت شعري إن لم يكن هذا وحيًا ممن يعلم

---

(١) أخرجه مسلم في الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية، رقم: ٥٣.

السر في السماوات والأرض فأي شيء يكون[١].

٥- إن العقل الباطن -على ما يقول علماء النفس- إنما يفيض بما فيه في غفلة من العقل الظاهر، ولذلك لا يظهر ما فيه إلا عن طريق الرؤى والأحلام، والأمراض، كالحمى مثلاً، وفي الظروف غير العادية، والقرآن الكريم نزل على النبي ﷺ وهو في اليقظة، وفي اكتمال من عقله وبدنه، ولم ينزل منه شيء في الرؤى والأحلام، وهكذا نرى أن ما استندوا إليه من فكرة العقل الباطن لا تساعدهم بل ترد عليهم[٢].

❑ القسم الثاني: شبه تعود إلى حالة نفسية مرضية:

وأبرز ما ذكروا تحت هذا: شبهة إصابة النبي ﷺ بـ(الصرع)، أو (الهوس)، أو (الهستريا)، أو(الاضطرابات العصبية)!!.

ويقصدون من ذلك: أن الوحي لا يمكن أن يكون واقعة مستقلة عن كيان النبي ﷺ ونفسيته و شعوره، ولهذا عدَّ بعضهم ما يتنزل على الرسول ﷺ بأنه حالة مرضية، وصفها بعضهم بالصرع أو الهوس، أو الهستريا أو الهلوسة أوالهذيان، وما نتج عن ذلك فهو بسبب هذه الحالة!!

---

(١) علوم القرآن، نور الدين عتر:٢٣-٢٤ بتصرف

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم:١٠٠-١٠١، وانظر في الجواب عن هذه الشبهة: الوحي المحمدي:٨٣-٨٨، الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي:١٤٣-١٦٠، مباحث علوم القرآن لصبحي صالح:٢٥-٢٦، مناهل العرفان في علوم القرآن:١/ ٨٤-٨٥، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية لساسي الحاج:٣٠١-٣٠٢.

يقول مكسيم: «لقد كان محمد يصرع ويصاب بتشنج عنيف، يجعله يغيب عن الواقع، بحيث يرى ويسمع أشياء لا يشعر بها الحاضرون معه، وبعد عودة الوعي إليه كان يقول إنه رأى الملك، وأن كلاماً أوحي به إليه، هذا الكلام كان يصدر من داخل نفسه، لا من مصدر خارجي عنه، ولقد استطاع محمد فيما بعد أن يجمع هذا الكلام ويصوغه في عبارات ادعى أنها القرآن الذي جاءه من عند الله»[١].

ويقول نولدكه: «إن سبب الوحي النازل على محمد، والدعوة التي قام بها، هو ما كان ينتابه من داء الصرع»[٢].

ويقول غوستاف فايل(Gustav Weil)(١٨٨٩م) في كتابه عن محمد النبي: «إن ما كان ينتاب الرسول مما يشبه الحمى، وما كان يسمعه من صوت كصلصلة الجرس ليس وحياً، وإنما هو نوبات صرع واضطرابات عصبية»[٣].

ويقول أليوس سبرنجر(ALOYS SPRENGER)(١٨٩٣م) عن حياة محمد وتعاليمه: «إن محمداً كان مصاباً بالصرع والهستيريا معاً»[٤].

ويقول المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون: «ويجب عدُّ محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح، وذلك كأكثر مؤسسي

(١) كتاب محمد لمكسيم:٧٥ بواسطة كتاب محمد بين الحقيقة والافتراء:١١٤.

(٢) حاضر العالم الإسلامي: ١/ ٣٤.

(٣) مدخل إلى القرآن، لريتشارد بل ومونتجمري وات: ١٨.

(٤) رؤية إسلامية للاستشراق، لأحمد غراب: ٣٣ بواسطة كتاب آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي٦١.

الديانات، ولا كبير أهمية لذلك، فأولو الهوس وحدهم -لا ذوو المزاج البارد من المفكرين- هم الذين يُنشئون الديانات، ويقودون الناس، ومتى يُبحث في عمل المفتونين في العالم يُعترف بأنه عظيم، وهم الذين أقاموا الأديان، وهدموا الدول، وأثاروا الجموع، وقادوا البشر، ولو كان العقل لا الهوس هو الذي يسود العالم؛ لكان للتاريخ مجرى آخر»[١].

وهذا التفسير الساقط الذي ذهب إليه بعض المستشرقين، ليس وليد الساعة، وإنما استفادوه ممن سبقوهم من أدباء العصور الوسطى في أوربا ومن أشهرهم يوحنا الأشقوبي (ت:١٤٥٦م)، في كتابه (طعن المسلمين بسيف الروح)[٢].

- **والجواب عن هذه الشبه، يمكن إجماله فيما يلي**[٣]:

١ -أن النبي ﷺ بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء كان أصح الناس بدناً

---

(١) حضارة العرب لجوستاف لوبون:١١٣-١١٤، وهناك كلامٌ للمستشرق شبرنجر أتحاشى من نقله حفظاً لمقام القارئ، يصف فيه نبينا الكريم ﷺ-وحاشاه من ذلك- بأوصاف غير مرضية حين تنزل الوحي. انظره في كتاب دفاع عن محمد لعبدالرحمن بدوي:٥٧-٥٩.

(٢) انظر: بحث بعنوان (محمد ﷺ في أدب العصور الوسطى) للدكتور بهجت عبدالرزاق:٣ ضمن المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية.

(٣) لخصت الجواب عن هذه الشبهة من كتاب المدخل لدراسة القرآن الكريم:١٠٣-١٠٨ حيث استوفى الجواب على الشبهة كاملة، وهناك إضافات من مراجع أخرى أشير إليها في موضعها.

وأقواهم جسماً، وأوصافه التي تناقلها الرواة الثقات تدل على البطولة الجسمانية، وقد بلغ من قوته أنه صارع ركانة بن يزيد فصرعه، وكان ركانة قوياً[(١)]، والمصاب بالصرع لا يكون على هذه القوة.

٢ -أن مريض الصرع يصاب بآلام حادة في جميع أعضاء جسمه، يحس بها إذا ما انتهت نوبة الصرع، ويظل حزيناً كاسف البال بسببها، وكثيراً ما يحاول مرضى الصرع الانتحار من قسوة ما يعانون من آلام في النوبات، فلو كان ما يعتري النبي ﷺ عند الوحي صرعاً؛ لأسف لذلك وحزن لوقوعه؛ ولسعد بانقطاع هذه الحالة عنه، ولكن الأمر كان على خلاف ذلك.

لقد فتر الوحي عن الرسول مدة فحزن لذلك حزناً شديداً، وكان يذهب إلى غار حراء وقمم الجبال عسى أن يعثر على الملك الذي جاءه بحراء، وبقي محزون النفس من هذه الحالة، حتى سرى عنه ربه بوصل ما انفصم من الوحي.

٣ - إن الوحي لم يكن يأتي النبي ﷺ على هذه الحال التي قالوا فيها إنها صرع إلا أحياناً، وأحيانا كان يأتيه وهو في حالته الطبيعية، فلا غيبوبة ولا قلق ولا غطيط، وذلك حينما كان يأتيه جبريل في صورة رجل، وكان الجالسون لا يعرفون أنه جبريل، ولكن النبي ﷺ كان يعلم ذلك حق العلم، كما في قصة حديث جبريل الطويل[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود، ورقمه (٤٠٧٨) وحسنه الألباني في الإرواء:٥/ ٣٢٩

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن =

ويدل على حالتَي الوحي هاتين الحديث الذي رواه البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن الحارث بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ قال رسول الله ﷺ: «أحيانـًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت منه ما قال، وأحيانـًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقـًا[(١)].

٤ -أن الثابت علميـًا أن المصاب بحالة الصرع يتعطل تفكيره وإدراكه تعطيلاً تامـًا، فلا يدري المريض في نوبته شيئـًا عما يدور حوله، ولا ما يجيش في نفسه، كما أنه يغيب عن صوابه، وتعتريه تشنجات تتوقف فيها حركة الشعور ويصبح المريض بلا إحساس.

ولكن الرسول ﷺ كان بعد الوحي يتلو على الناس آيات بينات، وتشريعات محكمات، وعظات بليغات، وأخلاقـًا عظيمة، وكلامـًا بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة، تحدى به الناس قاطبة- عربهم وعجمهم- أن يأتوا بأقصر سورة منه فما استطاعوا، فهل يُعقل من المصروع أن يأتي بشيء من هذا؟! اللهم إن هذا أمر لا يجوز إلا في عقول المجانين إن كانت لهم عقول.

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب(ت:٢٠٠٨م) -في كلام بديع له-: «أمجنون مصروع يبني دولة، وينشئ نظامـًا، ويقيم دينـًا، ويعيش في أجيال

=

الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي صلى الله عليه وسلم له ح(٥٠).

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ح (٢).

الناس، منذ قام إلى اليوم دون أن يصاب بنكسة أو خلل؟! أمجنون مصروع مختلط هذا الذي يأسر قلوب معاشريه، ويملك أنفسهم، فإذا القلوب خافقة بحبه، وإذا النفوس لا تعرف غذاءها إلا من ينابيع الحب والولاء والتفاني؟!

إن التاريخ لا يذكر في سجله يوماً أن إنساناً كان له في الناس رصيد من الحب والولاء ما كان لمحمد من ولاء وحب»[1].

٥ - لما تقدمت وسائل الطب، واستخدمت الأجهزة والكهرباء في التشخيص والعلاج، إذ الطب يضيف دليلاً لا يُنقض، ويُقيم حجة لا تحتاج إلى مناقشة على كذب فرية الصرع، ويؤكد أن ما كان يعتري رسول الله ﷺ إنما هو وحي من الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن يكون شيئاً آخر.

لقد ثبت أن نوبات الصرع ناتجة عن تغيرات فسيولوجية عضوية في المخ، والدليل على ذلك أنه أمكن تسجيل تغيرات كهربائية في المخ في أثناء النوبات الصرعية مهما كان مظهرها الخارجي، وعلى أية صورة كانت هذه النوبات ومهما ضعفت حدة هذه النوبات، ولقد أثبت الطب الحديث أخيراً - بعد الاستعانة بالأجهزة، والرسم الكهربائي- أن هناك مظاهرَ عديدة ومختلفة للنوبات الصرعية، وذلك تبعاً لمراكز المخ التي تبدأ فيها التغيرات الكهربائية، وطريقة وسرعة انتشارها، وأهم أنواع الصرع ما يسمى بالنوبات الصرعية النفسية، وهو ما يشبه أن يكون النوع الذي افتراه الخصوم على الرسول بأنه مصاب به، وفي هذه الحالة تمر بذهن المريض ذكريات أو

(١) النبي محمد ﷺ: ١٤٠-١٤١.

أحلام مرئية أو سمعية أو الاثنان معًا وتسمى بـ«الهلاوس»، وقد أثبت الطب أيضًا أن الذكريات التي تمر بالمريض لا بد أن يكون قد عاش فيها المريض نفسه حتمًا؛ إذ إن النوبة الصرعية ما هي إلا تنبيه لصورة أو صوت مر بالإنسان ثم احتفظ به في ثنايا المخ.

وبتطبيق ما قرره الطب الحديث في حقائق الصرع على ما كان يعتري النبي ﷺ نجده يردد آيات لا يمكن إطلاقًا أن يكون قد سمعها من قبل في حياته، فهي آيات واردة في كلام الحق سبحانه وتعالى قبل أن يعمر البشر الأرض، مثل قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة:٣٤-٣٥]، وآيات أخرى فيها قول الله يوم القيامة مثل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [النمل:٨٤] إلى غير ذلك من الآيات التي تحكي قصص الأولين، أو تصف أحوال القيامة واليوم الآخر، ولما كانت هذه الأحاديث والأحوال لم تمر بالرسول قطعًا، بالتالي فهي لم تختزن في المخ؛ لتثيرها نوبات صرعية فيتذكرها، وبذلك يقرر الطب الحديث في أحدث اكتشافاته بالنسبة للصرع، أن الرسول ﷺ لا يمكن أن يكون مصابًا بالصرع إطلاقًا، وأن ما كان يعتريه إنما هي حالة نفسية وجسدية لتلقي وحي الله سبحانه وتعالى، هذا الوحي الذي أخبره الله فيه عما مضى، وعما يُستقبل(١).

---

(١) مجلة منبر الإسلام العدد ٩ السنة ١٩ رمضان سنة ١٣٨١ هـ فبراير ١٩٦٤م.

٦ - ثم ما رأي هؤلاء الطاعنين وفيهم من ينتمي إلى بعض الأديان في أنهم لا ينالون من نبينا محمد ﷺ وحده، وإنما ينالون من جميع أنبياء الله ورسله الذين كانت لهم كتب أو صحف أوحي بها من عند الله سبحانه، فهل تطيب نفوس المقرين بالأديان منهم أن يخربوا بيوتهم قبل أن يخربوا بيوت غيرهم؟ وما رأيهم فيما جاء في كتب العهد القديم والجديد من إيحاءات ونبوءات، وهل يقولون في وحي نبي الله موسى وعيسى- عليهما السلام- ما يقولون في وحي نبينا محمد رسول ﷺ؟!

اللهم إن هذا الطعن لا يفوه به إلا أحد رجلين: إما رجل مخرِّف، وإما رجل مخرِّب مدمر يريد هدم الأديان.

إن الرسول ﷺ ليس ببدع من الرسل في باب الوحي، وإنه أوحي إليه كما أوحي إليهم، وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء:١٦٣][1].

ومما يحسن العلم به في هذا المقام: أن دعوى إصابة النبي ﷺ بهذه الحالات المرضية- لتهافته وبطلانه- قد تخلى عنها المستشرقون منذ بداية القرن العشرين، ولم يعودوا يتكلمون بها كما قرر ذلك الدكتور عبدالرحمن

---

(١) انظر في الإجابة عن هذه الشبهة: النبي محمد ﷺ:١٣١-١٤٧، مناهل العرفان في علوم القرآن:١/ ٨١-٨٢.

بدوي(ت:٢٠٠٢م)[١].

بل وجدنا كثيراً من المستشرقين يتعقبون على أصحابهم هذه الشبهة ويفندونها، ومن هؤلاء[٢]:

المستشرق مونتجمري وات في كتابه (محمد في مكة) يقول: «غالبـاً ما يركز أعداء الإسلام على أن محمداً ﷺ كان مصابـاً بالصرع، وبالتالي فإن رسالته الدينية غير صحيحة. والحقيقة، أن الأعراض المصاحبة للوحى عند محمد ﷺ ليست هي أعراض الصرع، فالصرع يؤدى إلى انهيار القوة البدنية والعقلية، بينما كان محمد ﷺ في كامل قواه العقلية والبدنية، وفي كامل ملكاته. لكن بفرض أن هذا الزعم صحيح، فإن البراهين عليه زائفة تمامـاً وقائمة على مجرد الجهل والتخبط، فمثل هذه الظواهر المصاحبة للوحي لا تصلح برهانـاً نعتمد عليه في رفض الوحي أو قبوله»[٣].

ويقول في موضع آخر: «أما التأكيد على أن رؤى محمد ﷺ والوحي الكلامي الذي يتلقاه مجرد هلوسة -كما يحلو لبعض الكتاب أحيانـاً أن يقولوا- فان مثل هذه الأقوال تجعل الأحكام الدينية (اللاهوتية) مفرغة تمامـاً من الوعي، لذا فهي أقوال تتسم بالجهل المخجل الذي يدعو للشفقة- جهل بالعلم وسلامة العقل، وهو حكمنا على بولين (Poulain)،

---

(١) انظر: دفاع عن محمد ﷺ:٦٣.

(٢) انظر: الرسول في كتابات المستشرقين:١١٤.

(٣) محمد في مكة:١٣٠.

وعلى اللاهوت الصوفي الغامض الذي يمثلونه»[١].

ويقول المستشرق البريطاني بودلي(Bodley)(ت:١٩٧٠م) في كتابه (الرسول حياة محمد) مفنداً هذا الزعم: «لا يصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي كان يتمتع بها محمد ﷺ حتى قبل وفاته بأسبوع واحد، وإن كان ممن تنتابه حالات الصرع كان يعتبر مجنونـًا، ولو كان هناك من يوصف بالعقل ورجاحته، فهو محمد»[٢].

ويقول المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون (Louis Massignon) (ت:١٩٦٢م): «إن محمداً كان على تمام الاعتدال في مزاجه»[٣] .

ويقول المستشرق الألماني ماكس مير هوف (Max Meyerhof) (ت:١٩٤٥م): «لقد أراد بعضهم أن يرى في محمد رجلاً مصاباً بمرض عصبي، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره ليس فيه شيء يدل على هذا، كما أن ما جاء به فيما بعد من أمور التشريع والإدارة يناقض هذا القول»[٤].

ويقول المستشرق الروسي بلاتونوف(Platonov) (ت:١٩٣٣م): «وغاية ما نقدر أن نجزم به هو تبرئة محمد من الكذب والمرض»[٥].

---

(١) محمد في مكة:١٢٩.

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم:١٠٤.

(٣) آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره:١/ ٤٠٣.

(٤) المصدر السابق:١/ ٤٠٣.

(٥) المصدر السابق:١/ ٤٠٣.

وهكذا يتبين بطلان هذه الشبه وفسادها، حتى عند من هم على شاكلتهم، ونعوذ بالله من هذه الاتهامات والأكاذيب التي لا تستند إلى دليل علمي أو تاريخي، وينقضها العقل ويكذبها الواقع.

المبحث الثالث
تأثر الفكر العربي المعاصر بشُبَه المستشرقين حول الوحي النبوي

بعد العرض السريع لتصور المستشرقين حول الوحي النبوي وما أثاروه من شبه، أريد أن أشير إشارة سريعة إلى أن هذا التصور الذي ذكروه قد وجد له آذانـًا صاغية عند بعض مفكرينا العرب.

وقد أثار بعضهم هذه الشبه وأعاد إنتاجها من جديد، ولكن الفرق بينهم وبين من سبقهم أنهم «لا يصرحون بكذب النبي ﷺ في دعوى نزول الوحي عليه، بل يسلّمون بذلك ويظهرون التصديق به، لكن يتفق كثير منهم على أن الوحي ليس حقيقة خارجة ومنفصلة عن الحيز الإنساني الأرضي، وأنه ليس كله نازلاً من المنبع الإلهي المطلق، وإنما هو حادثة متأثرة بالطبيعة الإنسانية، وممتزجة بالأمزجة البشرية، ومختلطة بالأبعاد النفسية والثقافية التي كان يعيشها النبي في ذلك الزمان»[1].

---

(١) الوحي الإلهي والانزلاقات الحداثية، سلطان العميري، مقال في مجلة البيان، عدد:٣١٨.

فهذا عبد المجيد الشرفي يعبر عن مفهوم الوحي عنده بأنه «الحالة الاستثنائية التي يغيب فيها الوعي، وتتعطل الملكات المكتسبة، ليبرز المخزون المدفون في أعماق **اللاوعي** بقوة خارقة لا يقدر النبي على دفعها ولا تتحكم فيها إرادته!»[(١)].

ويذهب نصر حامد أبو زيد (ت:٢٠١٠م) إلى أن للخيال الإنساني أثراً بارزاً في النبوة والوحي، ويقول: «إن تفسير النبوة اعتماداً على مفهوم الخيال معناه أن ذلك الانتقال من عالم البشر إلى عالم الملائكة انتقال يتم من خلال فاعلية المخيلة الإنسانية التي تكون في الأنبياء –بحكم الاصطفاء والفطرة– أقوى منها عند من سواهم من البشر، فإذا كانت فاعلية الخيال عند البشر العاديين لا تتبدى إلا في حالة النوم وسكون الحواس عن الاشتغال بنقل الانطباعات من العالم الخارجي إلى الداخلي، فإن الأنبياء والشعراء والعارفين قادرون دون غيرهم على استخدام فاعلية المخيلة في اليقظة والنوم على السواء، وليس معنى ذلك – بأي معنى من المعاني – التسوية بين هذه المستويات من حيث قدرة المخيلة وفاعليتها، فالنبي يأتي دون شك على قمة الترتيب، يليه الصوفي، ثم يأتي الشاعر في نهاية الترتيب»[(٢)].

---

(١) الإسلام بين الرسالة والتاريخ:٤٢.

(٢) مفهوم النص:٥٦، وهذه الفكرة التي وصل لها أبو زيد هنا هي نفس فكرة الفيلسوف الهولندي اسبينوزا (ت:١٦٧٧م) حول ظاهرة الوحي، إذ يقول: «لم يتلق أي شخص وحياً من الله دون الالتجاء إلى الخيال.. وينتج عن ذلك أن النبوة لا تتطلب ذهناً كاملاً بل خيالاً خصباً» انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة:١٢٩.

وإذا كان الوحي هو نتاج المخيلة والتخيل، فإنه يصبح إذاً -عند نصر أبو زيد- منتَجاً ثقافياً تشكل من الواقع والثقافة.

يقول أبو زيد: «إن النص في حقيقته وجوهره منتَج ثقافي -بالفتح- والمقصود بذلك أنه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاماً، وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفق عليها، فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقي سابق للنص يعود لكي يطمس هذه الحقيقة البديهية، ويعكر من ثمَّ إمكانية الفهم العلمي لظاهرة النص... النص منتَج ثقافي يمثل بالنسبة للقرآن مرحلة التكون والاكتمال، وهي مرحلة صار النص بعدها منتِجاً للثقافة، إن الفارق بين المرحلتين في تاريخ النص هو الفارق بين استمداده من الثقافة وتعبيره عنها، وبين إمداده للثقافة وتغييره لها»(١).

ثم يؤكد هذا المعنى فيقول: «الواقع إذاً هو الأصل، ولا سبيل إلى إهداره، من الواقع تكوَّن النص، ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه، ومن خلال حركته بفاعلية البشر تتجدد دلالته، فالواقع أولاً، والواقع ثانياً، والواقع أخيراً»(٢).

وهذا حسن حنفي -يكرر نفس الأفكار-(٣) ويذهب إلى أن «الوحي

(١) مفهوم النص: ٢٧-٢٨.

(٢) نقد الخطاب الديني: ١٣٠.

(٣) انظر آراءه بتوسع في: بحث للدكتور: فهد القرشي بعنوان (موقف حسن حنفي من القرآن الكريم) في موقع ملتقى أهل التفسير على الشبكة:
(http://vb.tafsir.net/tafsir24590/#.Vqd7oSorLIV).

مجموعة مواقف إنسانية نموذجية تتكرر في كل زمان ومكان»[١] وهذا يعني أن «نصوص الوحي ذاتها نشأت في الشعور...وهو شعور الرسول أو شعور المتلقي للرسالة، وهو شعور الإنسان العادي الذي قد يشعر بأزمة فينادي على حل، ثم يأتي الوحي مصدقًا لما طلب»[٢]، وبناءً على هذا «فالوحي يتكيف حسب خيال الأنبياء وقدراتهم»[٣]، ونتيجة لذلك «يختلف الأنبياء فيما بينهم حسب خيالهم وطبعهم ومعتقداتهم وآرائهم، فالنبي الفرح تُوحى إليه الحقائق بحوادث سعيدة، والنبي الحزين تؤيده آيات حزينة...»[٤].

وبناء على هذه النظرة الضالة عنده عن الوحي انتهى إلى أن الوحي مجرد فرضية خاضعة للنظر العلمي للتحقق من صحتها. يقول حنفي: «أما الوحي بالنسبة لي، فإنني آخذه على سبيل الافتراض. أنا في رأيي؛ الوحي هو افتراض في البحث العلمي، يقوم بدور الافتراض في البحث العلمي. فهل يتحقق؟ والتحقق من الصدق... ومن ثم فأهلًا وسهلًا، أنا أتقبل كل النبوات وكل الوحي وكل الآراء. وعليّ أن امتحنها على محك الواقع»[٥].

ونتيجة لهذا خلص إلى أن الإنسان ليس محتاجًا إلى الوحي أصلًا، إذ يقول: «الإنسان لا يحتاج إلى وحي»[٦].

(١) من العقيدة إلى الثورة:١/ ٨٦-٨٧.

(٢) التراث والتجديد: ١٣٥.

(٣) رسالة في اللاهوت والسياسة :٤٨ بتصرف يسير.

(٤) رسالة في اللاهوت والسياسة: ٤٨ .

(٥) الإسلام والحداثة:٢١٩،٢٢٠.

(٦) قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر:١/ ٩٢.

وهكذا يتبين -بشكل سريع -كيف يتعامل هؤلاء المفكرون مع ظاهرة الوحي؛ ليجعلوا من القرآن نصاً تاريخياً خاضعاً لما تخضع له النصوص التاريخية، وإزالة القيمة المعرفية له والتي يستمدها من كونه رباني يتجاوز حدود الزمان والمكان.

يقول أركون: «عملي يقوم على إخضاع القرآن لمحك النقد التاريخي المقارن»[١].

ويشرح هاشم صالح -تلميذ أركون- ذلك بقوله: «أي: وضعها ضمن سياقها التاريخي، وربطها بظروف قديمة مضت وانقضت ولم تعد هي ظروفنا. وبالتالي فهذه الآيات لم تعد ملزمة في العصر الحالي»[٢].

وهذا علي حرب يوضح ذلك أكثر ويقول: «فالتعامل مع الفكر الإسلامي بوصفه نتاجاً تاريخياً معناه: نزع هالة القداسة عن ذلك الفكر، أي: تمزيق الحجاب وهتك الستر، هذا هو صلب القضية. كيف نقرأ التراث والقرآن تحديداً؟»[٣].

وهذا الكلام -فوق أنه يذهب إلى تاريخية النص؛ فهو يدل على أن مقصدهم هو أبعد من ذلك وهو تجاوز القرآن الكريم، وجعله من التراث، واتخاذه ظِهرياً.

---

(١) الفكر الإسلامي قراءة علمية: ٢١٣، وانظر: الممنوع والممتنع لعلي حرب:١١٩.

(٢) الإسلام والانغلاق اللاهوتي:٣٥٠.

(٣) نقد النص:٧٦.

يقول نصر حامد أبو زيد: «ولا خلاص من تلك الوضعية إلا بتحرير العقل من سلطة النصوص الدينية وإطلاقه حراً يتجادل مع الطبيعة والواقع الاجتماعي والإنساني، فينتج المعرفة التي يصل بها إلى مزيد من التحرر فيصقل أدواته ويطور آلياته»(١).

ويقول هاشم صالح: «لقد آن الأوان للكشف عن تاريخية النص القرآني وإنزاله من تعاليه الفوقي إلى الواقع الأرضي المحسوس، آن الأوان للكشف عن علاقته بظروف محددة تماماً في شبه الجزيرة العربية وفي القرن السابع الميلادي»(٢).

وفي موضع آخر يقول: «فالشيء ما إن تنكشف تاريخيته حتى يصبح من السهل تجاوزه»(٣).

من خلال ما سبق يتبين لنا بجلاء كيف تأثر هؤلاء المفكرون بأساتذتهم المستشرقين في التعامل مع ظاهرة الوحي وسوّقوا آراءَهم التي تتمثل في أن الوحي هو من إنتاج (اللاشعور) أو(الشعور) عند النبي ﷺ، وما يلزم على هذا التفسير من القول بتاريخية النص القرآني.

---

(١) مقال لنصر أبو زيد بعنوان: ثقافة التنمية وتنمية الثقافة، على الرابط: (http://www.civicegypt.org/?p=17147).

(٢) الإسلام والانغلاق اللاهوتي:٢٤٨.

(٣) الإسلام والانغلاق اللاهوتي:٤٨.

يقول الدكتور عبدالرزاق هرماس مبيناً حجم تأثر أحد هؤلاء المفكرين-محمد أركون- بأساتذته المستشرقين: «ومن نماذج تلاميذ المستشرقين الذين استُبْقوا في الغرب -فرنسا- ويحررون منشوراتهم بالفرنسية: د. محمد أركون، ويهمنا في هذا المطلب ما يتصل من كتاباته بربّانية مصدر القرآن، وإن كان هذا الكاتب قد أضحى – عن جدارة – أكثر جرأة من أساتذته على الله، وعلى كتابه، وعلى سنة نبيه ﷺ وعلى شريعة الإسلام، وبخصوص كلام أركون عن القرآن الكريم، فالملاحظ أنه في جميع ما كتب عنه ظل وفياً للتراث الاستشراقي، ولا نكاد نجد شيئاً من مطاعن المستشرقين – قديما وحديثاً – لم يتَبنه ويدافع عنه، طريقته في ذلك واحدة دائماً: هي التلبيس على تلك المطاعن، بادعاء الاستفادة من (المناهج المعرفية المعاصرة) في فهم القرآن، لكن هذه الاستفادة دائماً تؤدي إلى تقرير وتزكية مختلِف أراجيف المستشرقين»[١].

ويقول الدكتور أحمد الطعّان مبيناً هذا الأثر: «لقد التزمنا في هذا الباب من الدراسة أن نتجنب الحديث عن الأثر الاستشراقي في كتابات العلمانيين قدر الإمكان؛ وذلك لأن دراستنا ستتضخم جداً لو ذهبنا نقارن بين الكتابات الاستشراقية والكتابات العلمانية، ذلك أن السطو العلماني على الفكر الاستشراقي قد بلغ مدىً بعيداً، بحيث يحتاج إلى دراسة مستقلّة»[٢].

---

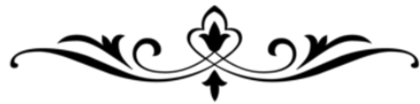
(١) مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن:١١٩-١٢٠.

(٢) موقف الفكر العلماني من النص القرآني د.أحمد الطعان ص ٤١٩.

- **وأخيراً:**

بعد هذا الاستعراض السريع لمواقف المستشرقين ومن تبعهم من المفكّرين العرب حول ظاهرة الوحي النبوي، أجد أن القرآن الكريم قد سبقنا إلى ذلك، حيث وصف حال هؤلاء ومواقفهم قبل أن تقع، وأجاب عنها في آيات كثيرة أذكر طرفاً منها:

قال الله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس:٢]، وقال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء:٥] وقال سبحانه: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون:٢٥]، وقال سبحانه: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور:٢٩].



الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد، ففي نهاية هذا البحث يمكن إيجاز أهم ما توصلت إليه بما يلي:

١-أن الوحي النبوي حقيقة ثابتة بالأدلة العقلية والنقلية.

٢- للوحي النبوي حسب التصور الإسلامي خصائص اختص بها ميَّزته عن غيره، وهي:

- أن الوحي يحصل بالاصطفاء لا الاكتساب.
- نزول الوحي خاضع لمشيئة الله وحكمته لا لرغبة الرسول وإرادته.
- اختصاص الوحي بعلم الغيب المحض.
- عدم تأثر الوحي الإلهي بالزمان والمكان.

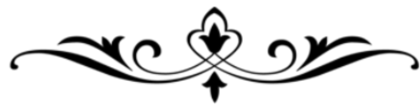
٣-للوحي النبوي حسب التصور الاستشراقي رؤية مخالفة لما عليه التصور الإسلامي؛ وهي إنكار أن يكون هذا الوحي أتى إلى النبي من خارج نفسه.

٤-يوجد دوافع ومسببات أدت إلى تبني المستشرقين هذا الرأي، أبرزها: التصور النصراني الخاطئ لظاهرة الوحي، والنزعة المادية التي لا تؤمن بما وراء المادة، وقبل ذلك وبعده التعصب الديني والنزعة العنصرية والحقد على هذا الدين ونبيه الكريم.

٤-استخدم المستشرقون للتعامل مع ظاهرة الوحي عدة مناهج، أبرزها منهج التحليل النفسي.

٥-فسَّر المستشرقون ظاهرة الوحي بتفسيرات كثيرة، نتج عنها إثارة كثير من الشبه، أبرزها شبه نفسية طبيعية وشبه نفسية مرضية.

٦-أن هذه الدعاوى والتفسيرات الباطلة وجدت لها صدى عند بعض المفكرين العرب المعاصرين، فأعادوا تسويقها من باب الحداثة والتجديد، مما زاد الأمر خطورة.



المراجع والمصادر

- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم دراسة ونقد، عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة، الرياض، ١٤١٣ هـ.

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلان، ط: بول اق١٣٢٢هـ.

- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، خبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد -المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

- الأدلة على صدق النبوة المحمدية، هدى عبد الكريم مرعي، بحث دكتوراه مطبوع على الآلة الكاتبة، ١٤٠٦ هـ .

- الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي، دار الطليعة، بيروت-لبنان، ٢٠٠١م.

- الإسلام والحداثة في مصر: بنظرة نقدية على فكر حسن حنفي، المؤلف: نصر الله اقاجاني، دار النشر: ني، ٢٠١٣م.

- الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتجمري وات، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:١٩٩٨.

- الإشارات والتنبيهات :ابن سينا، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.

- التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم، حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤٢٢هـ.

- الرسول في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة. ط:٤، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م .

- الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ساسي سالم الحاج، المدار الإسلامي، ط: أولى، ٢٠٠٢.

- الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، المحقق: (إشراف ندوة مالك بن نبي) الناشر: دار الفكر -دمشق سورية.

- الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي.

- الممنوع والممتنع نقد الذات المفكرة، علي حرب، المركز الثقافي العربي، ط:٤، ٢٠٠٥م.

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: ٤، ١٤٢٠ هـ.

- النبي محمد ﷺ، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، ط:٢.

- الوحي الإلهي والانزلاقات الحداثية، سلطان العميري، مقال في

مجلة البيان، عدد:٣١٨.

- الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، محمود ماضي، الإسكندرية، دار الدعوة، ط ١، سنة ١٤١٦هـ.

- الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية -بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م.

- بحث (أنسنة الوحي) لحسان القاري، ضمن مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية- المجلد ٢٦ -العدد الثاني-٢٠١٠.

- بحث بعنوان (محمد ﷺ في أدب العصور الوسطى) للدكتور بهجت عبد الرزاق، ضمن المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية

- حضارة العرب، غوستاف ل وبون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٣.

- دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره، عبد الرحمن بدوي، الدار العالمية للكتب والنشر.

- ردود على شبهات المستشرقين، يحيى مراد.

- رسالة في اللاهوت والسياسة، اسبينوزا، ترجمة وتقديم: حسن حنفي، دار التنوير، ٢٠٠٥م.

- رؤية إسلامية للاستشراق، لأحمد غراب، لندن، المنتدى الإسلامي، ط ١ سنة ١٤١١ هـ.

- علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر، الناشر: مطبعة الصباح - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ -١٩٩٣ م .

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة -بيروت، ١٣٧٩هـ.

- فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر - بيروت،١٤١١هـ.

- في فكرنا المعاصر، حسن حنفي، ط: ٢، ١٩٨٣م.

- قاموس الكتاب المقدس، ترجمة وتأليف الدكتور جورج بوست، مجلد ثان، طبع في بيروت في المطبعة الأمريكانية، سنة ١٩٠١م.

- قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، حسن حنفي، دار التنوير للطباعة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: ٢٤، ٢٠٠٠ م

- مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط:٣، ١٤٢١هـ.

- مبادئ الفلسفة المستشرقون والتنصير، للدكتور على النملة، ص ١١،

الرياض مكتبة التوبة، ط ١، ١٤١٣هـ.

- مجلة منبر الإسلام، العدد ٩، السنة ١٩، رمضان سنة ١٣٨١ هـ / فبراير ١٩٦٤م.

- محمد ﷺ بين الحقيقة والافتراء، محمد محمد أبو ليلة، دار النشر للجامعات.

- محمد ﷺ في مكة، مونتجمري وات، ترجمه إلى العربية: الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ.

- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت -صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- مدخل إلى القرآن، ريتشارد بل، ومونتجمري وات، جامعة أدنبره، ١٥٨٨م. المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، الناشر: مكتبه السنة -القاهرة، ط:٢، ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٣م.

- مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، عبد الرحمن الزنيدي، مكتبة المؤيد، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

- مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

- من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفي، دار التنوير للطباعة، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

- مناهج المستشرقين في الدارسات العربية والإسلامية، إعداد: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٥م.

- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط:٣

- منهج مونتجمري وات في دراسة نبوة محمد، بحث للدكتور: جعفر إدريس، منشور ضمن كتاب: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية.

- موقف الفكر العلماني العربي من النص القرآني، دعوى تاريخية النص نموذجا للدكتور أحمد إدريس الطعان الحاج. رسالته لنيل درجة الدكتوراه. نسخة غير منشورة.

- نقد الخطاب الديني، نصر حامد أبو زيد، الناشر: دار سينا للنشر، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

- نقد النص، علي حرب، المركز الثقافي العربي، ط:٥، ٢٠٠٨م.

- وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة، نقض مزاعم، المستشرقين، حسن ضياء الدين عتر، دعوة الحق، مكة المكرمة، عدد

:٢٨، ١٤٠٤هـ.

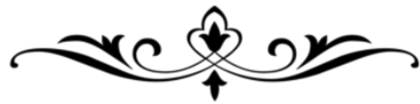
-الإسلام والانغلاق اللاهوتي، هاشم صالح، الناشر: دار الطليعة، رابطة العقلانيين العرب، تاريخ النشر: ٢٠١٠.

-العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد تسيهر، ترجمة محمد يوسف. وآخرين مصر، دار الكتب، ط٢

-المعرفة في الإسلام، د/ عبد الله القرني، دار عالم الفوائد، ط: الأولى، ١٤١٩هـ.

-النظرية المادية في المعرفة لروجيه جارودي، تعريب: إبراهيم قريط، دار دمشق.

-مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن، عبد الرزاق هرماس، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة الرابعة عشر، العدد الثامن والثلاثون، ربيع الآخر ١٤٢٠هـ، أغسطس ١٩٩٩م.



فهرس الموضوعات

